السنة الخامسة والتِّسعون بعد المئة

فيها أمر محمَّد بإبطال الدراهمِ والدنانيرِ التي ضربها المأمونُ بخراسان(١)، وأَظهر خَلعَ المأمون والوقيعةَ فيه، وكان ذلك عن رأي الفضلِ وبكر بنِ المُعْتَمر، فقال شاعر(٢): [من المتقارب]

أَضاعَ الخلافةَ غِشُّ الوزير ... ولَعْب(٣) الأميرِ وجهلُ المُشير
ففضلٌ وزيرٌ وبَكرٌ مُشير ... يُريدان ما فيه قَصْمُ الظُّهور(٤)
وما ذاك إلَّا طريقُ(٥) غرورٍ ... وشرُّ المَسالك طُرْقُ الغُرور
وأَعجب من ذا وذا أنَّنا ... نُبايع للطِّفل فينا الصَّغير
وما ذاك إلَّا انقلابُ الزَّمان ... أفي العِير هذا [ن] أم في النَّفير

من أبيات

ولمَّا بلغ المأمونَ أنَّ الأمين سمَّى موسى الناطقَ بالحق، تسمَّى بإمام المؤمنين(٦)، وخُطب له بذلك.

وكان الأمينُ قد كتب إلى المأمون كتاباً قبل ذلك وأردفه بكتب مترددةٍ يحذِّره الخلاف، ويتوعَّده على ذلك، فكتب إليه المأمون: أما بعد: فإنَّك أردتني على خلاف

---

(١) بعدها في (ب): لأن المأمون كان أسقط اسم محمد منها. وفيها قتل علي بن عيسى بن ماهان، وفيها ظهر السفياني بدمشق.
وسيأتي خبر السفياني بعد تسع صفحات.

(٢) هكذا ذكره مبهماً الطبري في تاريخه ٨/ ٣٨٩، ٣٩٦ وابن الأثير في الكامل ٦/ ٢٤٥، والذهبي في تاريخه ٤/ ١٠٣٤، وسماه صاحب مروج الذهب ٦/ ٤٣٨ علي بن أبي طالب رجلاً أعمى، وسماه صاحب الوافي بالوفيات ٢٤/ ٤١ يوسف بن محمد الحربي شاعر طاهر بن الحسين.

(٣) في تاريخ الطبري وابن الأثير والمسعودي: وفسق، وفي الوافي: وحمق.

(٤) في المصادر: حتف الأمير.

(٥) في (خ): طريقا، والمثبت من المصادر.

(٦) كذا في المنتظم ١٠/ ١١، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٣٤، والبداية والنهاية ١٤/ ٦١، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٣٨٩: إمام الهدى.

ما تعلم من الحقّ، ولَعمري لو أنصفتَ لانبسطتْ بالحجَّة مطالعُ مقالتك، ولكنتُ مَحجوجاً بمُفارقتك وما يجب من طاعتك، وأنا مُذْعِنٌ بها، فأَولى بك أن تأخذَ بالحقِّ في أمري، وإن أَبيت، قام الحقُّ بمَعْذِرَتي، وهل أحدٌ فارق الحقَّ فأبقى فعلُه مَوضعَ ثقةٍ لقوله.

وكتب إلى ابن ماهان: من عبد الله المأمونِ إلى عليِّ بن عيسى: أما بعد: فإنَّك في ظلِّ دعوةٍ لم تزل أنت وسَلَفُك بمكان ذَبٍّ عن حريمها، والعنايةِ بحفظها ورعاية حقِّها، توجبون ذلك لأئمَّتكم، وتعتصمون بحبل جماعتِكم، وتُعطون الطاعةَ من أنفسكم، وتكونون يداً على مَن خالفكم، وسِلماً لمَن وافقكم، لا ترون شيئاً أبلغَ في صلاحكم من الأمر الجامعِ لأُلفتكم، ولا أحرَى لبوَاركم ممَّا دعا إلى شَتات كلمتِكم، ترون مَن رغب [عن][1] ذلك جائراً عن القَصْد، ومَن أمَّه على منهاج الحقّ، ولقد كانت الأئمةُ تُنزلكم من ذلك حيث أنزلتم أنفسَكم بقُربكم، حتى بلغ اللهُ بك من نفسك أنَّك كنت قَريعَ أهلِ دعوتك، والعَلَمَ القائمَ بمعظم أمر أئمَّتك، حتى حَلَلْتَ بالمَحَلِّ الأعلى، والمقامِ الأسنى، وإنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفُسهم، وقد علمتَ ما أخذه أميرُ المؤمنين على الخاصَّة والعامَّة من العهود والمواثيق. وذكر كلاماً طويلاً.

وكان الفضلُ بن سهل قد دَسَّ دَسيساً إلى الفضل بنِ الربيع، فكان يثق به ويشاوره في أمره، وكان الدَّسيسُ يُطالع الفضلَ بن سهل بما يتجدَّد كلَّ وقت، فلما تيقَّن الفضلُ بن سهل أنه لابدَّ للأمين من الحرب، بعث إلى الدَّسيس يقول: تلطَّف للفضل بنِ الربيع وأَشِر عليه أن يكون المتولِّيَ لحرب المأمونِ عليُّ بن عيسى بنِ ماهان. وإنما خصَّ ابنَ ماهان لسوء برِّه[2] في أهل خراسان، وظلمِه لهم، وبغضِهم له. فشاور الفضلُ الدسيسَ في ذلك فقال: وأين أنت عن عليِّ بن عيسى في طول ولايتِه على خراسانَ، وسخائه وصنائعِه فيهم! ثم هو شيخُ الدعوة وبقية الشِّيعة[3].

فاتفق الفضلُ ومحمَّد وبكرٌ وغيرهم على توجيهه، فدعاه الأمين، فعقد له خمسين

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٧.

(٢) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٩: أثره.

(٣) في تاريخ الطبري: المشايعة.

ألفَ فارس وراجلٍ من أهل بغداد، ومكَّنه من الأموال والخزائن، فأعطاه لنفسه مئتي ألفِ دينار، ولابنه خمسين ألفاً، وأعطاه لأجل الإنفاقِ في الجند ألف ألفِ دينار، ومن السيوف المُحَلَّاة ألفي سيف، ومن الثياب ستةَ آلاف ثوبٍ للخلع، وسلاحاً كثيراً وخِيَماً وخيلاً، وغيرَ ذلك، وعقد له على كُور الجبال وهَمَذانَ والرَّيِّ ونَهاوَنْدَ وقُمَّ وقاشانَ وأصبهانَ وجميعِ خراسان.

فخرج من بغدادَ ليلةَ الجمعةِ لأربعَ عشرةَ خلت من جُمادى الآخرة، وأعطاه الأمينُ قيداً من ذهب وقَيْداً من فضَّة ليقيِّدَ بهما المأمون. وقيل: خرج لسبع ليالٍ خلون من شعبان، فعسكر بالنَّهْرَوان، ولمَّا أراد الخروج، جاء إلى باب أمِّ جعفرٍ يودِّعها، فقالت له: يا علي، إنَّ أمير المؤمنين وإن كان ولدي، إليه تناهت شَفَقتي، وعليه تكامل حَذَري، فإنِّي على عبد الله مُنْعَطفةٌ مُشْفِقة؛ لما يحدث عليه من مكروهٍ وأذى، وإنما ابني مَلِكٌ نافس أخاه في سلطانه، وزاحمه على مافي يده، فاعرف لعبد اللهِ حقَّ والدِه[1] وإخوته، وإن قَدَرْتَ عليه فلا تَجْبَهْهُ بالكلام فإنَّك لست بنظيره، ولا تقتسِرْه اقتسارَ العبيد، ولا توهنه بقيدٍ ولا غُلّ، ولا تمنع منه جاريةً ولا خادماً، ولا تعنِّف عليه في السَّير، ولا تساوِه في المسير، ولا تركب قبله، وإن خسّ[2] عليك فلا ترادَّه. فقال: أَفعل جميعَ ما أردتِ به. ثم جلس محمَّد يومَ الجمعة في المقصورة، وجمع القوَّاد وبني هاشمٍ وأَظهر خلعَ المأمون.

وقال الفضل بنُ الربيع: إنَّ عبد الله خالف الإمامَ وقطع عنه البريد، وأزال اسمَه من الدراهم والدنانيرِ والطُّرُز، وليس لأحدٍ في الخلافة حقٌّ مع أمير المؤمنين، لا لعبد اللهِ ولا لغيره، فبايِعوا لموسى ابنِ أمير المؤمنين، فبايَعوا، فقسم فيهم أموالاً كثيرة، ولمَّا خرج ابنُ ماهان، خرج معه الأمين يشيِّعه، وحشد معه الصنَّاع والفَعَلة وآلاتِ الحرب، فكان عسكرُه فراسخ[3]، ولم يرَ أهلُ بغدادَ مثل ذلك العسكر.

ولمَّا سار عليُّ بن عيسى عن النَّهْرَوان، ودَّع الأمين، وترجَّل وقبَّل رِكابه، فترجَّل له

(١) في (خ): ولادته، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٠٦.
(٢) في تاريخ الطبري: سفه.
(٣) في تاريخ الطبري: فرسخاً.

الأمين، ثم أوصاه بوصايا، منها أنَّه قال له: امنع جندَك من العَبَث والفسادِ بالرعية، والغارةِ على أهل القرى، وقطعِ الشجر وفسادِ الثمر، والتعرُّض للحريم، ومَن جاءك من أهل خُراسانَ فأكرِم مثواه، وأحسن جائزتَه، ولا تعاقب الأخَ بأخيه، وضع عنهم رُبعَ الخراج، ولا تؤمِّن أحداً رماك بسهمٍ أو طعنَ في أصحابك برمح، ولا تأذن لعبد اللهِ في المقام أكثرَ من ثلاثةٍ من اليوم الذي تظفر به فيه، وإن قاتلك فناجزْه، وإن هرب إلى خراسانَ فاتبَعْه بنفسك.

ولما أراد عليٌّ المسير قال له منجِّمه: لو انتظرتَ بمَسيرك صلاحَ القَمَر! فقال: أنا لا أدري ما ذلك، ومَن حاربَنا حاربناه، ومَن سالَمَنا سالمناه. وسار، فلمَّا جاوز حُلْوان، لقيته قوافلُ من خراسان، فقال: ما الخبر؟ فقالوا: إنَّ طاهر بنَ الحسين مقيمٌ بالرَّيِّ، يَعرض أصحابه ويتهيَّأ للقائك، فضحك عليٌّ وقال: وما طاهر! واللهِ ما هو إلَّا شوكةٌ من أغصاني، أو شَرارةٌ من ناري، وما مثلُ طاهرٍ من يتولَّى الحروب، وإنَّ السِّخال لا تقوى على النِّطاح للكِباش، وإنَّ الثعالب لا صبرَ لها على لقاء الأُسد.

ثم كتب كتاباً إلى ملوك الدَّيلم وجبالِ طَبَرِستان وما والاها من الملوك، يَعِدُهم بالصِّلات والجوائز، وأهدى إليهم التيجانَ والأساورَ والسيوف المحلَّاة وغيرَها، وأمرهم أن يقطعوا طريقَ خُراسان، وأن يمنعوا المَدد أن يصلَ إلى طاهر، فأجابوه.

وكتب الأمين إلى أبي دُلَف العِجليِّ يأمره أن ينضمَّ بمن مَعه إلى عليّ، فأجابه، واجتمع مع عليٍّ خلقٌ عظيم، ولمَّا قَرُب من الرَّيِّ على يومين أو ثلاثة، قال له صاحب مقدَّمته: الرأي التحفُّظ وإذكاءُ العيون[1] والطلائع، وضربُ الخنادق؛ خوفاً من تبييت طاهر؛ فإنَّ ذلك أبلغُ في الرأي، وآنَسُ لقلوب الجند، فقال له عليّ: اسكت، فليس مثلُ طاهرٍ مَن يُستعَدُّ له بالمكايد، بل إنَّ حال طاهرٍ يؤول إلى أحد أمرين: إما أن يتحصَّن بالرَّي، فيبيِّته أهلها، فيكفونا مؤونتَه، أو يُدْبرَ راجعاً وقد قَرُبنا منه، فنأتي عليه. فقال له: إنَّ العساكر والحروبَ لا تُدَبَّر بالاغترار، والثقةُ الاحتراز، ولا تقل: المحاربُ لي طاهر؛ فإنَّ الشرارةَ الخفيةَ قد تصير ضِراماً، والبَلَّة[2] من السَّيل ربَّما

(١) إذكاء العيون: إرسالها. المعجم الوسيط (ذكو).

(٢) في تاريخ الطبري: الثلمة.

صارت بحراً، وقد قربنا من طاهر، فلو كان همُّه الهرب، لم يتأخَّر إلى يومه هذا. فقال ابنُ ماهان: إنما تتحفَّظ الرجال إذا لقيت أقرانَها، وتستعدُّ إذا كان المناوئُ لها أكفاءَها ونظراءها.

ثم سار حتى صار بينه وبين الرَّيِّ عشرةُ فراسخ، فسدَّ طاهرٌ أبواب الرَّي، وأذكى العيون، واستعدَّ لمحاربته، واستشار أصحابه فقالوا: الرأيُ مقامنا بالرَّي، وندافع بالقتال إلى أن يأتيَنا المَددُ من خُراسان، فإنَّ مقامنا بالري أرفقُ بنا. فقال طاهر: ليس هذا برأي؛ فإنَّ أهل الريِّ[1] لابن ماهانَ هائبون، ومن سَطوته مُشفقون، ومعه مَن قد علمتم من أعراب البوادي، وصعاليكِ الجبل، ولفيفِ القُرى، ولست آمَن أن يهجمَ الريَّ فيُعينه أهلُها علينا خوفاً منه، مع أنَّه لم يكن قومٌ قطُّ زوحموا في ديارهم إلا ذلُّوا ووهنوا، وذهب عزُّهم[2] واجترأ عليهم عدوُّهم، والرأي أن نخرجَ من الريِّ ونجعلَها وراءَ ظهورنا، فإن أعطانا اللهُ الظَّفَر، وإلَّا دخلنا فتحصَّنَّا بها إلى أن يأتيَنا المددُ من خراسان. فقالوا: الرأيُ ما رأيت.

فخرج بأصحابه، فعسكر على خمسة فراسخَ من الرَّيِّ بقرية يقال لها: كلوص[3]، وقال عليُّ بن عيسى لأصحابه: بادروا القوم؛ فإنَّ عددهم قليل، ولو قد زحفتم إليهم لم يكن لهم صبرٌ على طعن الرِّماح وحرارة السيوف.

ثم عبَّأ جنده ميمنةً وميسرةً وقلباً، وصيَّر في كلِّ ناحيةٍ من النواحي جمعاً عظيماً، وتقابل الفريقان، وقد رتَّب عليُّ بن عيسى أصحابه كراديسَ كراديس، وقدَّم بين يديه عشرَ رايات، في كلِّ راية رجالٌ[4] من أهل النَّجدة، راية خلف راية، وجعل أبا دُلَفٍ العجليَّ في الميمنة، وقائداً كبيراً في الميسرة، ووقف هو في القلب.

وجعل طاهرٌ على ميمنته المأموني، وعلى ميسرته الرُّسْتُمي، ووقف هو في القلب، وكان جميعُ عسكرِ طاهر أربعةَ آلاف، وعسكرُ ابنِ ماهان يقارب ثمانين ألفاً، وجعل

---

(١) في (خ): الرأي. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤٠٩ .

(٢) في (خ): غيرهم. والمثبت من تاريخ الطبري.

(٣) في تاريخ الطبري: كلواص، وفي نسخة منه: كلوص، كما هنا.

(٤) في تاريخ الطبري ٨/ ٤١٠: ألف رجل، وفي الكامل ٦/ ٢٤٣: مئة رجل.

طاهرٌ يمرُّ[1] بين الصفوف والكَراديسِ ويقول: يا أهلَ الوفاءِ والشكر، إنَّكم لستم كهؤلاء أهلِ الغَدْر والنَّكْث، إنَّ هؤلاء ضيَّعوا ما حفظتم، وصغَّروا ما عظَّمتم، ونكثوا الأَيمان التي[2] رعيتم، وإنَّما يقاتلون على الباطل والجهل، أصحابُ نهب وسلب، فجاهِدوا طواغيتَ الفتن، ويعاسيبَ النار، وادفعوا بحقِّكم باطلَهم، وإنَّما هي ساعةٌ حتى يحكمَ اللهُ بيننا وهو خيرُ الحاكمين.

فبينما هم كذلك، وَثَب أهل الرَّي فأغلقوا أبوابَ المدينة، فنادى طاهر: يا أولياءَ الله، اشتغلوا بمن أمامَكم عمَّن وراءكم؛ فإنَّه لا يُنجيكم إلا الصدقُ والصبر.

ثم اقتتلوا قتالاً شديداً، وصبر الفريقان، فقال أحمدُ بن هشامٍ لطاهر: دعني أذكِّر ابنَ ماهانَ العهودَ والمواثيق التي أخذها علينا المأمون، يعني أهلَ خراسان، فقال: افعل، فجعل الورقةَ التي فيها البيَعة والأَيمان على رأس رمح، ووقف بين الصفَّين ونادى: يا ابنَ ماهانَ، ألا تتَّقي الله! أما هذه العهود التي أخذتَها علينا للمأمون، خَفِ الله، فقد بلغت بابَ قبرك.

وكان ابنُ ماهانَ قد ضربه ألفَ سَوط[3]، فقال: مَن جاء به فله ثلاثةُ آلافِ درهم، فرجع إلى عسكر طاهر، وبرز رجلٌ من عسكر ابنِ ماهان يقال له: حاتم الطائي، من أشدِّ الناس، فشدَّ عليه طاهرُ بن الحسين وقد أمسك سيفَه بيديه، فضربه فقدَّه نصفين، فكان الفتحُ في تلك الضَّربة، وفي ذلك اليومِ لقِّب طاهرٌ ذا اليمينين؛ لأنَّه أخذ السيفَ بكلتا يديه جميعاً.

وحمَلت ميمنةُ ابنِ ماهان على ميسرة طاهرٍ ففضَّتها، وميسرتُه على ميمنة طاهرٍ فأزالتها عن مواضعها، فقال طاهر: هذا ما لا قِبَلَ لنا به، فاقصدوا القلبَ بأجمعنا، واحملوا على أصحاب الرَّايات، وجعل بين يديه ألفين من الرُّماة الخُوارِزْميَّة، فحملوا، فرجعت أوائلُ الراياتِ على أواخرها، وانهزموا وكَثُرَ فيهم القتل.

ورجعت الرايات إلى عليٍّ وهو في القلب، فجعل ينادي: أين أصحابُ الحفاظ،

---

(١) في (خ): يميز، والمثبت من تاريخ الطبري.

(٢) في (خ): الذي.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٣: أربع مئة سوط.

أين أصحاب الأساور [و] الأكاليل؟! يا معاشرَ الأبناء، الكَرَّةَ بعد الفَرَّة. فما عرَّجوا عليه، وأخذتهم السيوفُ والرماح، وهبَّت ريحٌ شديدة، فكانت الدَّبْرة على ابن ماهان، وكان على فرسٍ أرحَل[١] ـ حمله عليه محمَّد، وذلك يُكره في الحرب ويدلُّ على الهزيمة ـ فحمل عليه رجلٌ يقال له: داود سياه وهو لا يعرفه، فضربه بالسيف فصرعه، ورآه طاهرُ بن التاجيّ ـ ويسمَّى طاهراً الصغير ـ فعرفه، فقال: أنت عليُّ بنِ عيسى؟ قال: نعم، ظناً منه أنَّه يهابه، فنزل فذبحه وجاء برأسه إلى طاهر بنِ الحسين، فلما رآه نزل فسجد وأعتق كلَّ مملوكٍ له ممَّن كان بحضرته، وتبعهم عسكرُ طاهرٍ فرسخين، واستولى طاهرٌ على الأموال والسلاحِ والخزائن والرَّقيق والدوابِّ وغيره، وأخذ جُثَّةَ ابن ماهان، فلفَّها في لِبْدٍ وألقاها في بئر، وكتب إلى المأمون بالفتح، وبعث برأس ابن ماهانَ وخاتمِه إليه، وكانت الوقعةُ بمكان يقال له: مُشكُويه، بينه وبين الرَّيِّ سبعُ فراسخ، فسار البريد من الرَّيِّ إلى مروَ في أربعة أيام[٢]، وبينهما [خمسون] ومئتا فرسخ، ورجع طاهرٌ إلى الريِّ بعد أن نادى: مَن طرح سلاحَه فهو آمن، ففعلوا ونزلوا عن دوابِّهم، وكان عبدُ الله بن عليِّ بنِ عيسى قد ألقى نفسَه بين القتلى، فلمَّا جاء الليل، قام من بينهم، وتبع[٣] جماعةً فلحق، وكان أكبرَ أولادِ علي[٤].

وقيل: إنَّ طاهرَ بن الحسين إنَّما كتب بالفتح إلى ذي الرِّياستين: أطال اللهُ بقاءك، وكبت أعدائك، وجعل مَن شَناك فِداك، كتبت إليك ورأسُ عليِّ بن عيسى بين يدَيّ، وخاتمُه في إصبعي[٥]، والحمدُ لله ربِّ العالمين. فدخل على المأمون فبشَّره، فأيَّد طاهراً بالرجال، وسمَّاه ذا اليمينين، وأمر بإحضار أهلِ بيته وقوَّاده ووجوهِ الناس، فدخلوا وسلَّموا عليه بالخلافة، وأعلن يومئذٍ بخلع محمَّد، وردَّ عليه رأسَ ابن ماهان،

---

(١) فرس أرحل: أبيض الظهر فقط. القاموس المحيط (رحل).

(٢) في الكامل ٦/ ٢٤٥: ثلاثة أيام. وما سيأتي بين حاصرتين منه، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٤.

(٣) في (خ): وتبعه، وهو خطأ، وفي تاريخ الطبري ٨/ ٤١١: فانضم إلى جماعة من فل العسكر ومضى إلى بغداد.

(٤) في تاريخ الطبري: وكان من أكابر ولده.

(٥) في (خ): إصبعه، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٤ والمنتظم ١٠/ ١٣.

فطيف به في كُوَرخُراسان، فقال [شاعرٌ من أهل خراسان][(١)]: [من السريع]

أصبحت الأمَّة في غِبطةٍ ... من أمر دنياها ومن دينها

إذ حفظت عهدَ إمامِ الهدى ... خيرِ بني حوَّاءَ مأمونِها

من أبيات، ولقَّب الفضلَ بن سهل ذا الرِّياستين، وفوَّض إليه أمورَه.

وقال جبريلُ بن بختيشوع: سمعت المأمونَ يقول: كان لي بخُراسان يومٌ عجيب، فأَولاني اللهُ فيه جميلاً؛ وذلك لأنَّه لَمَّا توجَّه طاهر بن الحسين للقاء عليِّ بن عيسى بن ماهان، على ما عرفتم من ضعف طاهرٍ وقوَّة ابن ماهان، فوقع في نفس عسكري أنَّ طاهراً ذاهب، وأنَّ ابن ماهانَ هو الغالب، ولحق عسكري إضاقةٌ شديدة، ونفذ ما كان بيدي، فلم يبق معي قليل ولا كثير، ولم أدرِ إلى أين أهرب، ولا إلى أين أجدّ، وكنت نازلاً في دار أبوابُها من حديد، ولي فيها مُسْتَشْرَفٌ أقعد فيه، وعددُ غلماني ستةٌ[(٢)] لا أملك غيرهم، فشَغَب الجندُ والقوَّاد، وطلبوا أرزاقهم، ووافَوا باب الدارِ يشتموني شتماً قبيحاً، وكان الفضلُ بن سهل جالساً عندي، فأمر بإغلاق الأبواب، وقال لي: قم واصعد إلى المستشرف، فقلت: وما ينفعني وهم يهجمون عليّ؟! فقال: قم واصعد، فو الله ما تنزل إلَّا خليفة، فجعلت أهزأ به، وطلبت أهرب من بعض الأبواب، فلم أجدْ سبيلاً، فقال: قم فاصعد، فصعدت، فلمَّا علم الجندُ بصعودي ازدادوا شتماً وسبًّا، فقلت للفضل: أنت الذي غَرَرْتَني بالصعود ولم تدعْني أعمل برأيي، فقال: واللهِ ما تنزل إلَّا خليفة، فازداد غيظي.

ونقبوا الجندُ الجدار، وجاؤوا بالشوك وأَحرقوا بعضَ الدار، ووصلت النارُ إلي، وخفت من الحريق، وهممت أن أُلقيَ نفسي بينهم لعلَّ إذا رأوني يستحيون مني، وجعل الفضل يقبِّل يدي ورِجلي ويقول: واللهِ ما تنزل إلَّا خليفة، والاسطرلابُ بيده، فلما اشتدَّ الأمر واستحكم الناس، قال لي: أتاك الفَرَج، أرى في الصحراء شيئاً قد أقبل ومعه فَرَجُنا فازددت غيظاً، وإذا بذلك الشيءِ قد قرب وهو يصيح: البشارة لي، قُتل عليُّ بن عيسى، وهذا رأسُه معي في المِخْلاة، فلمَّا رأى الجندُ ذلك سكنوا وخجلوا،

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ الطبري ٨/ ٤١١ .

(٢) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٥١ : ستة عشر غلاماً .

وأقبلوا على الدعاءِ والسرورِ بالفتح، وكان أوَّل من دخل عليَّ من القواد عليُّ بن عبد اللهِ الخُزاعي[١]، فقبَّل يدي وسلَّم عليَّ بالخلافة، وفعل الجميعُ كذلك، وأطفأ اللهُ النائرة، ووهب السلامةَ والعافية، وجاءتني الخلافة، وظَفِرت من أموال عليِّ بن عيسى ما أصلحت به الجندَ وغيرهم.

ذِكر وصولِ الخبر إلى بغداد:

ووصلت الفلولُ إلى بغدادَ في شوَّال، وندم محمَّد على ما كان من غدره بأخيه.

وقال محمَّد بنُ يحيى النَّيسابوري: لما جاء نعيُ ابنِ ماهان إلى بغداد، كان محمَّد جالساً على جانب دجلةَ يصيد السمكَ هو وكوثرٌ خادمه، فأخبره بعضُ الخدم، فقال: دعني الساعة؛ فإنَّ كوثراً قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً بعد[٢].

وأرسل الفضلُ بن الربيع إلى نوفلٍ خادمِ المأمون ووكيلِه على ولده وعيالِه وأهله فحبسه، وأخذ منه مئةَ ألفِ دينار، وقيل: ألفَ ألفِ درهم، وقبض ضياعَه وغلَّاتِه بالسَّواد وغيره، وولَّى عليها من قِبَله يُمْن الخادم، ودخل خُزَيْمَةُ بن خازم على الأمين وهو واجم، فقال له: ألم أنهَك عن خلع أخ ك والبغيِ عليه ونقضِ العهود، وأن تجرِّئَ القوَّاد عليك وعلى مَن بعدك، وتحملَهم على النَّكث في الأَيمان؟! فإنَّ الناكث مغلول، والغادرَ مجدول، وما نصحك مَن كذبك، ولا غشَّك مَن صدقك. ثم خرج وهو يقول: [من البسيط]

قــد ضــيَّــع اللهُ ذَوداً أنــت راعــيــهــا[٣]

ولما قُتل ابن ماهان قال القوَّاد: لا نشكُّ أنَّ محمَّداً سيحتاج الرجال، فلْيأمر كلُّ واحد منكم جندَه بالشَّغب وطلبِ الأرزاق والجوائز، فأصبحوا كلُّهم بباب الجسر، وشغبوا وطلبوا الأرزاقَ والجوائز، فركب خزيمةُ بن خازم[٤] في عسكره ونهاهم، فلم ينتهوا، واقتتلوا بالآجُرِّ والنُّشَّاب، وسمع محمَّد التكبيرَ والضجيج، فأُخبر الخبر، فأمر

(١) في الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٥٣: عبد الله بن مالك الخزاعي.

(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥.

(٣) تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥.

(٤) كذا، والذي في المصادر: عبد الله بن خازم، انظر الحاشية التالية.

لهم بأرزاق أربعةِ أشهر. وأمر للقوَّاد والخواصِّ بالجوائز والصِّلات، فسكنوا وانصرفوا.

ثم وجَّه الأمينُ عبدَ الرَّحمن بن جَبَلَةَ الأنباريَّ(١) لحرب طاهرٍ في عشرين ألفاً من الأنبار، وقوَّاه بالأموال والسلاح، وولَّاه ما بين حُلوانَ إلى ما غلب عليه من أراضي خراسان، وندب معه أهلَ التدبير والنَّجدة، فسار حتى سبق طاهراً إلى هَمَذان، فنزل بها وخندق عليها، وحصَّنها وسدَّ ثُلَمها، واستعدَّ للقاء طاهر، وجاء طاهرٌ فحصره، فكان يخرج ويقاتله، وأقام أيَّاماً على القتال، وقطع عنهم المادَّة، وتأذَّى أهل همذانَ بالحصار، وخاف عبدُ الرَّحمن أن يثبوا به، فأرسل إلى طاهرٍ فطلب الأمانَ له ولمن معه، فأمَّنهم، فخرجوا من همذان، واستولى طاهرٌ عليها.

وفي رواية: قال عبدُ الرَّحمن لأصحابه: واللهِ إنَّ القتل أهونُ عليَّ من أمان طاهرٍ أو الهزيمة، ولكن اخرجوا بنا فلْنقاتل، فإنْ مِتنا متنا كراماً. فخرج بخواصِّه فاقتتلوا، فترجَّل هو وأصحابُه [وكسروا](٢) جفونَ سيوفهم وقاتلوا، فقُتل عبدُ الرَّحمن، وكان شجاعاً، وقال بعضُ أصحابه يرثيه: [من الطويل]

أَلَا إنَّما تبكي العيونُ لفارسٍ ... نفى العارَ عنه بالمَناصِلِ والقَنَا
تجلَّى غبارُ الموت عن حُرِّ وجهه ... وقد أحرز العَلْياءَ والمَجدَ واقْتَنى
فتًى لا يبالي إنْ دنا من مُروءةٍ(٣) ... أصاب مَصونَ النَّفْس أو ضَيَّع الغِنى
يقيم لأطراف الذَّوابل(٤) سُوقَها ... ولا يَرْهَبُ الموتَ المُتاحَ إذا دنا

وقال الطبري: إنما قُتل عبد الرَّحمن بحُلوان، تبعه عسكرُ طاهرٍ فقاتل حتى قُتل، ورجع عسكرُه إلى بغداد، واستولى طاهرٌ على همذان، وطرد عمَّالَ محمَّد عن الجبال وتلك النواحي، ولم يبقَ لمحمَّد إلَّا من بغدادَ إلى حُلوان(٥).

---

(١) كذا في الكامل ٦/ ٢٤٦، ونسخة من تاريخ الطبري ٨/ ٣٩٥، والمنتظم ١٠/ ١٤، وفي مطبوع الطبري ٨/ ٣٩٥ و٤١٢، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٣٦، والبداية والنهاية ١٤/ ٦٢: الأبناوي.

(٢) ما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، وانظر تاريخ الطبري ٨/ ٤١٦.

(٣) في (ح): لا يبالي إذن من مروءة، والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٤١٧.

(٤) الذابل من القَنا: الرقيق. اللسان (ذبل).

(٥) الذي في تاريخ الطبري ٨/ ٤١٢، ٤١٦: أن محمداً الأمين لما انتهى إليه قتل علي بن عيسى وجه عبد الرحمن =

وفيها ظهر السُّفياني بدمشقَ والشام -واسمُه عليُّ بن عبد اللهِ بن خالدِ بن يزيدَ بن معاويةَ بنِ أبي سفيان، [وكنيته][1] أبو الحسن- في ذي الحِجَّة، وطرد عاملَ محمَّد عنها -وهو سليمانُ بن أبي جعفر- بعد أن حصره بدمشقَ ثم أفلت منه.

وقال ابنُ عساكر: بويع له بالخلافة بدمشقَ في ذي الحِجَّة [من هذه السَّنة] وكانت دارُه بدمشقَ غربيَّ الرَّحبة[2]، ويُعرف بأبي العَمَيْطَر، وأمُّه نفيسةُ بنت عبيدِ الله بن العبَّاس بن عليِّ بنِ أبي طالب، وكان يقول: أنا ابن السُّفياني، أنا ابن العِير والنَّفير، وابن شيخَي صِفِّين[3] [وسنذكره في سنة ثمانٍ وتسعين ومئة] فبعث إليه محمَّد الحسينَ بن عليِّ بنِ عيسى بن ماهان، فخاف منه، فأقام بالرقَّة ولم يقطع الفرات.

وحجَّ بالناس داودُ بن عيسى بنِ موسى بن محمَّد بن عليِّ بن عبد الله بنِ العباسِ، وكان والياً على مكةَ والمدينة، وكان العاملَ على الكوفة العباسُ بن موسى الهادي، وعلى البصرة منصورُ بن المهدي، والمأمونُ بخراسان.

فصل وفيها توفي

إسحاقُ بن يوسفَ

ابنِ محمَّد، أبو محمَّد، الأزرقُ الواسِطيُّ[4].

كان من الثِّقات الصالحين، الفقهاءِ المحدِّثين، أقام عشرين سنةً لم يرفع رأسَه إلى السماء حياءً من الله تعالى. وكانت وفاتُه بواسط.

وكان ثقة، سئل عنه الإمامُ أحمد رحمةُ الله عليه: أثقةٌ هو؟ فقال: إي واللهِ ثقة.

قالت له أمُّه: يا بُني، قد عزمت على الحجّ، وقد بلغني أنَّ بالكوفة رجلاً يستخفُّ

= في عشرين ألف رجل، وولاه حلوان إلى ما غلب عليه من أرض خراسان، فالتقى طاهراً بهمذان، ثم طلب منه الأمان فأمنه، ثم نكث وقاتل طاهراً، فقتل وهربت فلول جيشه إلى بغداد.

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

(٢) رحبة الزبيب، كما في تاريخ دمشق ٥١/ ٢٣.

(٣) يعني عليا ومعاوية رضي الله عنهما. وانظر تاريخ دمشق.

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٣٢٤، المنتظم ١٠/ ١٥، تاريخ الإسلام ٤/ ١٠٦٩، السير ٩/ ١٧١، وهذه الترجمة والتي تليها ليستا في (ب).

بأصحاب الحديث، فأسألك بحقِّي عليك ألَّا تسمعَ منه شيئاً. قال إسحاق: فدخلتُ الكوفة، فإذا الأعمشُ قاعدٌ وحده، فوقفت على باب المسجدِ وقلت: أمِّي والأعمش، وقد قال النبيُّ ﷺ: «طلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم»[١] فدخلت المسجد، فسلَّمت وقلت: يا أبا محمَّد، حدِّثني فإني رجلٌ غريب، قال: من أين أنت؟ قلت: أنا من واسط، قال: وما اسمُك؟ قلت: إسحاقُ بن يوسفَ الأزرق، قال: فلا حُيِّيتَ ولا حُيِّيَت أمُّك، أليس حرَّجت عليك ألَّا تسمعَ مني شيئاً؟! قلت: يا أبا محمَّد، ليس كلُّ ما بلغك يكون حقًّا، قال: لأُحدثنَّك بحديثٍ ما حدَّثت به أحداً قبلك. فحدَّثني عن ابن أبي أوفَى قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «الخوارجُ كِلابُ أهلِ النار»[٢].

أسند إسحاقُ عن الأعمش والثوريِّ وخلقٍ كثير، وروى عنه الإمامُ أحمدُ رحمه الله وابنُ مَعين في آخَرين.

بكَّار بن عبدِ الله

ابن مصعبِ بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبير، وأمُّه عبيدة[٣]، وهي أمُّ عبد الله بنتُ طلحةَ بنِ عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق.

وكان بكَّار مِدْرَهَ قريش، شرفاً وبياناً وجاهاً ولساناً. وكان عظيماً عند الرشيد، ولَّاه المدينة، فأقام عليها والياً اثنتي عشرةَ سنةً وشهوراً، وكان الرشيد من إعجابه به يكتب إليه: من عبد الله هارونَ أميرِ المؤمنين إلى أبي بكرٍ[٤] بن عبد الله.

وكان جواداً مُمَدَّحاً، وكان عمَّاله على المدينة وجوه أهلها، فقهاً وعلماً ومروءةً وشرفاً، وكان متفضِّلاً على أهل المدينة، أخرج لهم ثلاثَ أُعطيات مقدارُها ألفُ ألفِ دينار ومئتا ألفِ دينار، كلُّ عطاء أربعُ مئة ألفِ دينار، وكلُّ ذلك على يده، ولم يكن بالمدينة بيتٌ إلا وقد دخله منه صَنيعُه. وكانت وفاتُه في ربيعٍ الآخِر[٥] رحمةُ الله عليه.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (١٩١٣٠)، وابن ماجه (١٧٣).

(٣) في (خ): عبدة، والمثبت من جمهرة نسب قريش ١/ ١٥٦.

(٤) في (خ): بكار، والمثبت من الجمهرة ١/ ١٦٤، والمنتظم ١٠/ ١٦، وتاريخ الإسلام ٤/ ١٠٨٦.

(٥) في المنتظم ١٠/ ١٦: الأول، وهو خطأ، فقد حدده الزبير بن بكار في جمهرته ١/ ١٨٧ فقال: توفي أبو بكر ابن عبد الله بن مصعب ليلة الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وتسعين ومئة.